الفصاحة والبلاغة

الفصاحة:

تعريف الفصاحة في اللغة: الفصاحة لغةً هي الظهور والبيان، يقال: ((أفصح الصبح)) إذا ظهر وبان. ويقال: ((أفصح الصبيُّ)) إذا بان وظهر كلامه.

تعريف الفصاحة في الاصطلاح: تقع الفصاحة وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً: فصاحة الكلمة: هي سلامة الكلمة من تنافر الحروف ومخالفة القياس والغرابة[1]. فهذه العيوب إذا وُجدت في الكلمة كانت معيبةً ليست فصيحة. وفيما يأتي بيان هذه العيوب:

١. **تنافر الحروف**: هو وصف في الكلمة يؤدي إلى ثقلها على اللسان وعسر النطق بها، مثل ((الهعخع)) وهو نبات ترعاه الإبل، و((الظش)) وهو المكان الخشن، و((المستشزر)) للشيء المفتول.
٢. **مخالفة القياس**: هو مخالفة الكلمة لقواعد علم الصرف، مثل جمع كلمة ((بوق)) على ((بوقات)) في قول المتنبي:

فإنْ يَكُ بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ ففي الناسِ بوقاتٌ لها وطبولُ

فكلمة ((بوقات)) ليست فصيحةً؛ لأن بوق يُجمع على ((أبواق)) و((بوائق)).
ومثل كلمة ((مَوْدَدة)) والصحيح ((مَوَدَّة)).
٣. **غرابة الكلمة**: وهي أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى بسبب عدم تداولها بين فصحاء العرب وأدبائهم، مثل كلمة ((اطلخمَّ)) بمعنى انصرف، و((افْرَنْقِعْ)) بمعنى انْصَرِفْ. فعدم تداول الكلمة بين فصحاء العرب وأدبائهم دليل على عدم استحسانهم لها، لذلك لم تكن فصيحة.

ثانياً: فصاحة الكلام: وهي سلامته من تنافر كلماته مجتمعةً ومن ضعف التأليف ومن التعقيد مع فصاحة كلماته[2]، فأي كلام وُجدت فيه هذه العيوب أو أحدها كان كلاماً غير فصيح، وفيما يأتي بيان هذه العيوب:

---

١ فشروط فصاحة الكلمة ثلاثة، هي: سلامتها من تنافر الحروف، وسلامتها من مخالفة القياس، وسلامتها من الغرابة.

٢ فشروط فصاحة الكلام أربعة، هي: فصاحة كلماته، وسلامته من تنافر كلماته مجتمعةً، وسلامته من ضعف التأليف، وسلامته من التعقيد.

١. **تنافر الكلمات**: قد تكون الكلمات كل واحدة منها سالمةً من تنافر الحروف، ولكن عند اجتماعها يظهر التنافر بينها فيؤدي ذلك إلى ثقل نطق هذه الكلمات مجتمعةً على اللسان. كقول الشاعر:

..... وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

فنلاحظ أن هذه الكلمات سهلة اللفظ على اللسان وليس بين حروفها تنافر، ولكن عندما اجتمعت في هذا الشطر ظهر التنافر بينها لتقارب حروفها وتكررها.

٢. **ضعف التأليف**: وهو أن يكون الكلام مخالفاً لقواعد النحو المشهورة، ومن ذلك قول الشاعر:

جزى بنوه أبا الغَيْلانِ عن كِبَرٍ .....

فهذا الشطر غير فصيح؛ لأن الضمير الهاء في قوله (بنوه) يعود إلى قوله (أبا الغيلان)، وفي هذا مخالفة لقاعدة نحوية مشهورة وهي أنه لا يجوز أن يعود الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبةً، ففي هذا الشطر عاد الضمير (الهاء) إلى (أبا الغيلان) فمرجع الضمير متأخر عن الضمير لفظاً كما هو ظاهر، وهو أيضاً متأخر رتبةً؛ لأن (أبا الغيلان) مفعول به وهو متأخر رتبة عن الفاعل (بنوه). فمرجع الضمير يجب أن يكون متقدماً على الضمير لفظاً أو رتبةً، ومثال تقدم مرجع الضمير رتبةً[٣] مع تأخره لفظاً (أكرمَ غلامَهُ زيدٌ) فالضمير الهاء في [غلامه] يعود إلى [زيد]، و[زيد] وإن كان متأخر لفظاً فهو متقدم رتبةً؛ لأنه فاعل وهو متقدم رتبةً على المفعول به (غلامه).

٣. **التعقيد**: وهو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى الذي يريده المتكلم، وهو على نوعين:

أ. **التعقيد اللفظي**: وهو أن يكون سبب التعقيد هو اللفظ من تقديم أو تأخير، كقولنا: ((ما قرأ إلا واحداً محمدٌ مع كتاباً أخيه)) والمراد ((ما قرأ محمدٌ مع أخيه إلا كتاباً واحداً)).

ب. **التعقيد المعنوي**: وهو أن يكون سبب التعقيد استعمال مجازات وكنايات وتشبيهات لا يفهم المراد بها بسبب عدم ظهور العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي أو بين المشبه والمشبه به، كقول بعضهم: ((نشر الـمَلِكُ ألسنتَهُ في المدينة)) بمعنى نشر الملك جواسيسه، ففي هذه الجملة تعقيد معنوي؛ إذ لا يُفهم المراد بـ (ألسنته) لعدم ظهور العلاقة بين الألسنة والجواسيس، والصحيح أن يقال: ((نشر الملك عيونه في المدينة)) فإن تخصص الجاسوس أن ينقل ما يراه، والمعروف عند العرب أن الجاسوس يسمى عيناً ولا يسمى لساناً.

---

٣ الجملة العربية على نوعين: النوع الأول الجملة الإسمية وتتكون من المبتدأ والخبر، فالمبتدأ متقدم رتبةً على الخبر، بمعنى أن الأصل في الكلام أن يتقدم ذكر المبتدأ على ذكر الخبر. والنوع الثاني الجملة الفعلية وتتكون من الفعل والفاعل والمفعول به، والفاعل متقدم رتبة على المفعول به، بمعنى أن الأصل أن يتقدم ذكر الفاعل على ذكر المفعول به.

٤. **فصاحة الكلمات**: أي: أن تكون جميع كلمات الكلام سالمة من العيوب المتعلقة بالفصاحة، وهي سلامتها من الغرابة ومن مخالفة القياس ومن تنافر الحروف.

ثالثاً: فصاحة المتكلم: هي مَلَكة [أي: إمكانية راسخة في النفس] يستطيع بها أن يعبر عن المقصود بكلام فصيح في أي غرض كان. ويمكن اكتساب هذه الملكة بالإكثار من قراءة الكلام الفصيح [وفي مقدمته القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وكلام العرب الفصحاء من الشعر والنثر] وبممارسة الكلام الفصيح.

البلاغة:

تعريف البلاغة في اللغة: البلاغة لغةً هي الوصول والانتهاء، يقال: ((بلغ المسافر مراده)) إذا وصل إلى المكان الذي يقصده وانتهى إليه.

تعريف البلاغة في الاصطلاح: تقع البلاغة وصفاً للكلام والمتكلم، ولا تقع وصفاً للكلمة؛ لأن الكلمة المفردة لا يمكن إبلاغ المعنى المراد بها وحدها. وفيما يأتي بيان معنى بلاغة الكلام والمتكلم:

أولاً: بلاغة الكلام: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فلا يكون الكلام بليغاً إلا بشرطين:

١. مطابقته لمقتضى الحال: ومعنى الحال هو الأمر الذي يدفع المتكلم إلى إيراد الكلام بصورة معينة، ومقتضى الحال هو الصورة المعينة التي تم إيراد الكلام عليها، فمثلاً عندما نخاطب شخصاً بمعلومة ينكرها فإننا يجب إيراد هذه المعلومة في جملة مؤكَّدة بتأكيدين أو أكثر، فلو أن شخصاً ينكر مجيء زيد ونحن نريد أن خبره بمجيء زيد فإننا نقول له: ((والله إن زيداً جاء))، فإنكار المخاطَب لمجيء زيد يسمى حالاً، وإيراد الكلام مؤكَّداً بتأكيدين يسمى مقتضى الحال، أي: صورة الكلام التي يقتضيها ويتطلبها الحال.
٢. أن يكون فصيحاً: أي: أن يكون سالماً من تنافر كلماته ومن ضعف التأليف ومن التعقيد مع فصاحة كلماته.

ثانياً: بلاغة المتكلم: هي مَلَكة لدى المتكلم يقتدر بها على التعبير عن المقصود بكلام بليغ في أي غرض كان.

ملاحظة: يُعرف التنافر بالذوق السليم، والذوق هو قوة في النفس بها تُدرك لطائف الكلام ووجوه تحسينه. وتُعرف مخالفة الكلمة للقياس بعلم الصرف. ويُعرف ضعف التأليف والتعقيد اللفظي بعلم النحو، وتُعرف الغرابة بكثرة الاطلاع على كلام العرب، ويُعرف التعقيد المعنوي بعلم البيان إذ به يُعرف اختلاف

طرق الدلالة في الوضح، وتُعرف الأحوال ومقتضياتها بعلم المعاني. وبناءً على ما سبق يجب على طالب البلاغة معرفة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان، مع كونه سليم الذوق كثير الاطلاع على كلام العرب.

****